

الحلقة الخامسة عشرة

سلسلة مواضيع عملية

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. تحت عنوان المخدرات تنتشر في العالم العربي بسرعة مخيفة جاء التقرير التالي:

أعلن الممثل الإقليمي للأمم المتحدة لمنع المخدرات والجريمة في الشرق الأوسط محمد عبد العزيز أن ٤٠٠ ألف شخص يتعاطون المخدرات في العالم العربي، عن طريق الحقن بالهرويين. وأوضح عبد العزيز أن المواد المخدرة مثل القنب والأفيون والهرويين تنتشر بطريقة مخيفة. وأضاف الممثل الإقليمي أن الوضع العام لتعاطي المخدرات في العالم يثير القلق. وأن عدد متعاطي المخدرات على المستوى العالمي خلال عام ٢٠٠٣ بلغ ١٨٥ مليون متعاطٍ. بحسب التقرير الدولي عن المخدرات للعام ٢٠٠٤. أي بزيادة حوالي خمسة ملايين عن التقرير السابق الصادر عام ٢٠٠٠ (ألفين).

وأشار إلى أن الوضع العام لتعاطي المخدرات في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا أي في العالم العربي، ليس أفضل بكثير بل على العكس، فعدد متعاطي المخدرات من الذكور والإناث في تزايد مستمر، وتتراوح الفئة العمرية لمتعاطي المخدرات بين ٢٠ و ٣٠ عاماً. وشدد عبد العزيز على أهمية التركيز على الجهود الوقائية والتدابير الرامية إلى مكافحة إنتاج المخدرات غير المشروعة والاتجار بها وتعاطيها. ودعا المنظمات الحكومية وغير الحكومية إلى تعزيز التعاون الإقليمي والدولي بينها للتصدي للمخدرات والجريمة.

٤٠٠ ألف شخص يتعاطون المخدرات في العالم العربي. بالفعل إنه رقم مخيف، ويشير إلى إن إدمان المخدرات هو خطر يهدد شباب العالم العربي، ورغم ما يبذل لحماية الشباب منه، إلا أن المخدرات تدخل البيوت وتدمر الشباب وتهدد كيان الأسر. لكن على من تقع المسؤولية يا ترى في انتشار تعاطي المخدرات؟ هل على الأسرة؟ أم على المجتمع؟ أم على الحكومات، أم على المؤسسات التعليمية؟ أم على أجهزة الإعلام والفضائيات التي لا تقوم بواجبها في توعية الشباب؟

كلها أسئلة جدير بنا أن نطرحها ونحاول الإجابة عنها. يقول أحد الأبحاث: أن ضحية الإدمان هم شباب يعانون من مشاكل معينة من فقدان الحنان الأسري، الشعور بالإهمال، العيش مع أب قاس أو أم مهملة، الشعور بالملل وبوقت فراغ كبير. هؤلاء هم صيد

سهل لمروجي المخدرات، وهم ضحية إهمال الأسرة والمجتمع. ولذلك لا بد أن نحاكم الأسر عندما يتعاطى أحد أبنائها المخدرات، قبل أن نحاكم متعاطيه. فالمدمن إنسان ضعيف، يحتاج إلى رعاية ومساعدة.

يُجمع جميع الأطباء أن إيمان المراهقين هو قبل كل شيء مسؤولية الأسرة، فما من مدمن شاب إلا وهو ضحية إهمال الأسرة له. فالأم التي لا تعتني بأبنائها ولا تستمع إليهم، ولا تُشعرهم بحنانها وعطفها. هي أم تدفع بأبنائها إلى التهلكة. والأب الذي لا يبني جسرا متينا من الود والاحترام والصدقة بينه وبين أبنائه، ولا يشعرهم بأنه يحميهم ويحافظ عليهم ويرعاهم، هو أب يدفع أيضا أبنائه إلى التهلكة.

إن ضحية المخدرات عادة ما يكون شابا مراهقا وقع بين أيد لا ترحم، استغلت ضعفه، وإحساسه بالضيق لتمد له السم القاتل. وختم البحث بالقول: ليس هناك شاب محمي فطريا من الإدمان، وإنما هناك أسر تحيط أبنائها بالرعاية والحب وتحميهم من الأخطار.

إذن إن المسؤولية الكبرى والأولى تقع على الأسرة والوالدين. إن الأسرة هي خلية المجتمع الأولى، فعندما تقوم الأسرة بواجبها على أكمل وجه، فإنها تكون بذلك قد أنشأت جيلا صالحا، يسعى نحو البناء والتقدم. لكن هذا لا يعفي المسؤولية بالكلية عن الشباب الطالع، الذي عليه أن لا يقع فريسة سهلة للإغراءات مهما كانت كبيرة. بل أن يحصن نفسه ويعي مسؤوليته تجاه نفسه أولا، وتجاه المجتمع من حوله ثانية.

لقد عرف الله تعالى منذ القديم أهمية تربية الأولاد، ولهذا حثّ بني إسرائيل قديما مرارا وتكرارا، لكي يعلموا أولادهم شريعة الله ووصاياه، ويعرفوهم ماذا يريد الله منهم. وعندما أهمل بنو إسرائيل هذا الأمر، ابتعد الشعب عن الله، وفعلوا الشرّ أمامه.

ولهذا كتب سليمان الحكيم في سفر الأمثال قائلا: "يا ابني لا تنس شريعتي بل ليحفظ قلبك وصاياي فإنها تزيدك طول أيام وسني حياة وسلامة. لا تدع الرحمة والحق يتركاك. تقلدهما على عنقك. اكتبهما على لوح قلبك، فتجد نعمة وفطنة صالحة في أعين الله والناس." (أمثال ٣: ١-٤) لقد حثّ سليمان الحكيم الأولاد جميعا، لكي لا ينسوا شريعة الله ووصاياه، إذ بحفظها سيتمتعون بالحياة، ويربحون نفوسهم. وهذا سيؤدي بدوره لكي يجدوا بركة أمام الله والناس من حولهم.

ثم كتب سليمان الحكيم في مكان آخر قائلاً: "يا ابني احفظ وصايا أبيك ولا تترك شريعة أمك. اربطها على قلبك دائماً. قلّد بها عنقك. إذا ذهبت تهديك. إذا نمت تحرسك وإذا استيقظت فهي تحدثك. لأن الوصية مصباح والشريعة نور وتوبيخات الأدب طريق الحياة. (أمثال ٦: ٢٠-٢٣) افترض سليمان الحكيم هنا، أن الوالدين يقومان بواجبهما تجاه تربية أولادهم، وتنشئتهم على الطريق الصحيح. ولهذا طلب من الأولاد أن يحفظوا هذه الوصايا، ويسلكوا بها، لأنها ستكون مصدر هداية لهم. إذ هي كالمصباح والنور لحياتهم.

وفي العهد الجديد من الكتاب المقدس نجد الرسول بولس يبنّر على هذا الأمر. إذ كتب قائلاً: "أيها الأولاد أطيعوا والديكم في الرب لأن هذا حق.. وأنتم أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم بل ربوهم بتأديب الرب وإنذاره." (الرسالة إلى أفسس ٦: ١، ٤)

صديقي المستمع، إذا كنت والدا هل تقوم بواجبك كاملاً في تربية أولادك؟ وهل تقضي وقتاً كافياً معهم تدريبهم وتعلّمهم؟ وهل تسعى لتربيتهم بحسب وصايا الله وشريعته؟ أم أنك لا تكثرث بالأمر؟ وإذا كنت شاباً هل تستمع لنصائح والديك وتعمل بها؟ وهل تسعى لكي تجنب نفسك من الوقوع في فخ المغريات وخاصة بالنسبة لتعاطي المخدرات؟ وهل تعلم ما هي الوسيلة الفضلى لتحقيق هذا الأمر؟

هل تعلم صديقي سواء كنت والداً أم شاباً، وأنت صديقتي سواء كنت والدة أم شابة، أن هناك أمراً هاماً عليكم أن تقوموا به، لكي تستطيعوا فعلاً أن تحفظوا أولادكم، أو نفسيكم من الوقوع في برائن أي انحراف كان؟ ما عليكم إلا أن تضعوا نفسيكما بين يدي الله القدير، الذي وحده يقدر أن يؤهلكما لكي تكونان أباً وأماً تهتمان بتربية أولادكم. أو شاباً وشابة تبتعدان عن كل ما هو فاسد وشرير. وهذا يحصل عندما تؤمنان بالمخلص المسيح الذي أتى من السماء، لكي يهب كل من يأتي إليه الحياة الفضلى السامية.